

(٨)

يُبين الإنسانيّة وأصدقائها

(ما اتقى الانسانية بأعدائها الذين يتظاهرون
بأنهم من أصدقائها : يمدونها بفتات اللوائد وبألى
التياب . يمنعون عليها بما يقدمونه . وما اتقوه . بيتها
يسلبونها أغز ذخائرها وأغلى هبات ربها لها . من
حرية كرامة وإيمان . وكثيرا ما يضعون لها السم
في الدسم ، الداء الويل في العمل ، والويل لنا كل
الويل من أثرة المتحكين ، وجشع المتصرفين ، وبغى
القادرين . . .)

إن موطن العلة في الجسم البشرى للتورم هنا أيها
المصلح من الخلقنا »

الشر باص

بين الانسانية واصدقائها

تحمى الاساطير الهندية كثيرا من الحكم ، يدوانا أن حكاء هذا القطر قد أعربوا عن دقائق الفلسفة في لغة سهلة وأسلوب جذاب ، وحاولوا نقل الحقائق الجافة الى الحياة العامة ، نحن نستطيع أن نتلقى دروساً قيمة في الفلسفة والحياة بواسطة هذه الاساطير المتواضعة .

ومن الاساطير والحكايات التي حدثتنا بها في الصغر الامهات وعجائز البيت أسطورة امرأة شقية كان جسمها حافلا بالابرار السامة وتوات ضررها اقتلاع هذه الابرار فاقتلعها إبرة لإبرة وتظاهرت بالشفقة والاخلاص وترك الابرار العيين عمداً فبقيت المرأة تملل من شدة الألم لا ينطبق لها جفن ولا تكتحل بنوم : ونحن بصدد هذا الجزء من الحكاية فحسب .

إذا فكرت في الانسانية واصدقائها ودرست أحوالها لوجدت قصتها تشبه قصة المرأة البائسة تمام الشبه قد تمزق جسمها بالابرار السامة التي دخلت في جميع مفاصلها فتمتد أيدي الفؤاد والرحمة اليها لتقتلها ، ولكنها تغفل العيين اللتين لا يقر قرار الرجل الا بسلاستها فلا يتم خلاصها ولا يهابها . فتغزو وتروح جريحة الهيكل كريمة الروح مضطربة البال ، ثم تستأنف الجمود من غد وتنقطع من غير أن تكمل مهمتها وتبلغ غايتها .

الانسانية تمثل جسم البشرى في أعضائه وأجزائه فهي جامعة للنواحي الحيوية بأسرها ، وانها تنظم الجسم والبطن والرأس والقلب والروح والنسمة ، وتحمل هذه النواحي أنواع من البلاء والشقاء ، وهي ابرار جسمها التي تشقى بها وتجرح على أيديها مرارة الحرمان والألم .

الفاقة والبؤس وفقدان المواد الغذائية الصالحة هي ابرار البطن والمعدة التي تشقى بها الانسانية وتعذب ، ومن الشقاء للعالم البشرى . ومن المنجولات المندبات أن لا تجد أغلبية البشر الساحقة مأسد به فافتها وتشبع به بطنها لسوء تصرفه حفة من البشر في توزيع المواد الغذائية أو لسفح كرمه جائرة رغم سخ

القدرة الالهية وثروة الحقول الزراعية وأن لا تجد البشرية حاجتها من الطعام والغذاء بعد أن تفيض الحقول زرعاً وتدر الأرض لبناً ومغسلاً .

الانسان جسد مع الروح . والجسد يشعر بالحرارة والبرودة ، فهو دائماً في حاجة إلى الكسوة واللباس وقد أنزل الله لباساً يوارى سورات الناس وريشاً وألهم الانسان كيف يزرع القطن ، وكيف ينسج الثوب ، واشتغلت الأيدي العاملة في الحقول والمصانع ، فكانت كميات فائضة من القطن والنسيج ، فمن الجور الفاحش والظلم المبين أن يلجئ إسراف بعض الرجال في الملابس أو احتفاظهم بها في صناديق ومستودعات كثيراً من الناس إلى العرى ، أو يكسو الأغنياء جدرانهم ، فلا تجد الفقراء من اللباس ما يستر جسدتهم ويقيهم البرد والحر .

أن المرء يحمل في جنبه قلباً نابضاً له رغبات وعواطف طبيعية لا ضرر فيها ولا اعتداء فلا يجوز أن يقف الانسان سدافى سبيلها ، وقد وهب عقلاً وذكاً ، فلا يجوز لأحد أن يمنعه عن العلم ويحول بينه وبين التفكير ، فإذا فعل ذلك فرد أو حكومة كان الانصاف للانسان المرهق وتحرير فكره خدمة بارة للانسانية وعملها يستحق الشكر والثناء .

الثقافة لاتزدهر ، والمدنية لاترتقي وقوى الرجل الروحية والمادية لاتتمو ابداً . إذا كانت في البلاد سلطة مستبدة وحكومة غاشمة ، فنرى أن الحكومات الأجنبية والدول المستبدة تستولى على وسائل الحياة وتترلى توزيعها فتطوراً تستأثر بها وتارة تقسمها قسمة ضيزى . وأخرى تحول بين الأمة وبين منتجاتها وثمرات كدحها وخزائن أرضها . فتعيش في ديارها عيش الغرباء أو الصعاليك الطرداء فلا تلبث أن تخمد عواطفها وتجمد فرائحها وتضيع مواهبها فتكون أمة خامدة خائفة . فلا شك أن الاستعمار والاستبداد عدو لدرء للانسانية وظلم عظيم للأمة وأن جلالة من بلاد نعمة وسعادة تستحق الأمة عليها كل تهته .

إذن فالجور والعرى والأمية والاستبداد هي الابرات التي لا تقفأ تهرج لجسد البشرى ونزلة ومن الواجب إزالة هذه الآفات وتخليس الأمة منها .

ولكن هل هذه الكرب والآلام هي جل آفات البشرية وهي ابرات جسدنا

فحسب ؟ واذا قلعت هذه الابرات اطمشت القلوب ونيمت الابدان وقرت
العيون وصفا العيش وطاب النوم وزالت الهموم والاكدار ورجع كل شيء
الى نصابه ؟

لقد كانت الخطب يسيرا جدالو كان ذلك . ولكن الامر مع الاسف
ليس كذلك . والواقع لا يؤيده .

ان القوت واللباس والعلم والحرية ليست كل شيء في الحياة وليست دواء كل
داء . ان في جسم الانسانية ابرات سامة غير الابرات المذكورة وهى تخرج
قلبه وتذيب حشاشته . خذ مجتمعا قد وصل الى كل مطلب وقضى كل حاجة في
نفسه فقال الحرية والاستقلال وجمع بين العلم والاموال واجتمع له كل ما يمكن
من أسباب السعادة المادية والهناء هل تراه هادئا مطمئنا لا يشكو ولا يشن ؟

الامر ليس كذلك كما تعرف جيدا . بل ربما يكون هذا المجتمع السعيد
أشد قلقا في اضطرابا وأكثر شكوى وعتابا من غيره فما السر في هذا ؟

سر ذلك أن الانسان قد يظهر في بطنه الطبيعي بطن كاذب وهو بطن الجشع
والشح الذى لا يزال صاحبا مثل جهنم . هل من مزيد ؟ . انه لا يشق المثل لانه
قنطرة الى حاجاته أو شهواته — على الاكثر — بل قد يكون غرامه له
كغاية ونهاية هنالك لا يطفى غلته أعظم مقدار من المال وأعظم مجموع من الدارم
والدينار بل يركب رأسه في شدة غرامه وولوعه بالمال ويرتكب كل محذور
ومسكر لانه قد فقد الحاسة الخلقية وحرم الضمير والعقل وجن بالمال جنونا .
وأحقر مظاهر هذه النفسية والطبيعة الغريبة السوق السوداء والارتشاء الرخيص
وابتزاز الاموال من كل وسيلة وطريق .

اذا درسنا تاريخ العالم الخلقى درسا عميقا وفحصنا في أسباب الفوضى الاجتماعية
والانحلال الخلقى فحصا دقيقا وفكريا في ديس المسائل والمشاكل التى تواجه
الحياة القومية والاجتماعية اليوم وجدنا أنها لا ترجع الى الضرورات والحاجات
الطبيعية فى غالب الاحوال بل الى الرغبات الباطلة والحاجات الكاذبة والشهوات
المصطنعة فى الغالب وهذه الشهوات التى تغرى صاحبها بالمحظورات والجنايات

وتتولد منها أزمات طريفة ومشاكل معقدة في الحياة المدنية وفي كل نظام حكومي وتبحث على الاعتداءات والتدليسات والحيلانات والسف والارتشاء والمقامرة والاكتناز والاحتكار والخداع وتورط لاجلها أعظم الدول والامم في الفوضوية والادستورية .

لو بحث في الأزمات والمشاكل لاقتنت بأن تعمير مطاب أغلبية ساحقة وكثرة الجياع العراة في بلاد ليست هي غلة الاضطراب واختلال الحياة الاجتماعية إن هؤلاء الجياع والعراة لم يضيقوا على الناس ولم ينقصوا عيش أحد في القطر اولئك هم الطاعمون الكاسون الذين لا تشبع أنفسهم بالقناطير من الذهب والفضة ولا تقطع رغباتهم هم الذين ملاؤا الدنيا فسادا واضطرابا . ان قائمة الحوائج الصادقة ليست بطويلة جدا كما يتوهم بعض الناس وكما يغالط أكثرهم ولكن قائمة الحوائج الكاذبة لاحد لها ولا نهاية وهي تستوفي الازدياد والتضخم على مر الايام والليالي وقد تضخم حتى لا تنكفي لرجل واحد ثروة هائلة . ثروة حارة بل ثروة مدينة بأسرها بل وزيادة .

لماذا هذا الغلاء الفاحش واختفاء الأشياء والتضخم النقدي ؟ الآن أغلبية البلاد جامعة عارية ؟ لا بل لأن شهرة المادة قد طغت وتخطت كل حد ، وبلغ غرام الثراء حد الوله والجنون ، وانمحت القناعة من الحياة ، وتسرب الصلف والرياء وحب الجاه والزينة في جسم المدنية فأحال الحياة الى انشقاء وصير الدنيا دار للعذاب والبلاء فنواجهه في كل منعطف ومنعرج ارتشاء مسرفا وسوقا سوداء وأرباحا جائرة .

لكن هل ترتكب هذه المحظورات لأن الجوع أو العرى قد جاوز حده ؟ لا ! إنها أعمال طبقه فضلت أقواتها وملايسها عن حاجاتها ، واجتمع عندها من الكماليات وفضول الحياة وأدوات الزينة والفخار شيء كثير . إنك لا تجد في هذه السوق السوداء فقيراً لا يملك قوت يومه ولا لباس جسمه ألا إنها لا فاعيل اصحاب اليسار والاموال الذين قد حيزت لهم الدنيا بأطرافها وحذا فيرما ، ثم لا رادع لهم عن الخيانة واختلاس أموال الناس .

إن حاجات الإنسان الطبيعية المصادقة لخطبها يسير وإنه أسهل أن يجد كل إنسان في بلاد ما يشبعه ويكسوه وكل ما يحتاج إليه في حياته ، ولكن هل تستطيع دولة من الدول الكبيرة أو شريعة من الشرائع العادلة أن ترضى حفة من السكان في حاجاتهم الكاذبة ورغباتهم الباطلة ؟ وهل تقدر أن تشبع بطناً واحداً يشكو الجوع الكاذب والذي لا يشبع وإن أكل رزق الناس أجمعين ؟

فاذا كانت المسألة مسألة الرغبات المختلفة لا الرغبات الصحيحة ، وإذا كانت العلة الاشتواء الصادق فهل تقدر فلسفة اقتصادية أو نظام معاشي قد تكفل الطعام واللباس فقط ولا يتعرض للضمير الإنساني ولا يغير نفسية المجتمع وطبيعته والذي يشعل الحس المادى ولا يعدله . أن يحمل مجتمعا واحداً على الرضاء والقناعة وهدوء البال ؟ وهل تستطيع كذلك أن يطلق سراح الحياة من الأزمات الراهنة بعد أن أخذت بالخنق وأناخت على المدينة بكلاهما .

إن الارتشاء والسرق السوداء والغلو في الأرباح والجنايات ليست النتيجة نفسية تدين بعبادة المال والتفاني في سبيله ، ولن يقف هذا الفساد عند حد إذا لم تتغير هذه النفسية ، بل إذا سد باب في وجهه فساد تفتح له عشرة أبواب على مصارعها ، لأن الذهن البشرى له نوافذ وأبواب كثيرة ، كلما سد منه منخر جاش منخر .

إن علة المدينة الحاضر وداءها العضال أنها دست سموم الأثرة والشح وعبادة النفس في شرايين المجتمع وعروقه ، فأصبح ضميره لا يؤمن إلا بالفائدة الشخصية والنفع العاجل فيرتكب أكبر رجل في هذا المجتمع أشنع جريمة ، فإذا اتهم خان وإذا عاهد غدر وإذا حكم جار ، وإذا كان وزيراً آثر ذوى قرابته وأهمل نفسه وعشيرته أصدقائه وأضر بأمته وحكومته ، وإذا كان موظفاً ماطل وتساهل وأبطأ في العمل حتى يرضخ له شيء من الدريهمات فينشط ويخف للعمل ، وإذا كان ممثلاً في مجلس أو عضواً في هيئة لم يمثل الأشخاص ومصالحه ولم يفكر إلا في فائده فيوقع لأجله بلاده وشعبه في خسارة فادحة ، إذا كان تاجراً أقام السوق السوداء على قدم وساق ، وارتكب لزبادة ثروته وتضخيم ماله كل ما تأباه الفضيلة والمروءة

ويعنعه القانون ، فيجوع لأجله ألوف من الرجال ولا يبالى ، وقد يرانى الناس
فيلقى على مئات من الفقراء أثقالا من الديون الفادحة ، فيحتاجون الى ملهم واحد
وقرص واحد ولا يجدون اليه سديلا .

وغلب شيطان الأثرة على الدول والأحزاب بعد ان كان مستوليا على الأفراد
والرجال فالأحزاب السياسية ممنعة فى الأثرة والعصبية الحزبية . أما الجمهوريات
الأوربية والأمريكية فقد جرت منها الأثرة بحرى الروح ، فتدوس الدويلات
الصغيرة بقدمها وتمتنح حريتها وكرامتها وتحرمها متعة الحياة وتجعلها لها مستعمرات
وأسواقا لبضائعها وصنائعها ، فحوت هذه الأثرة العالم كله الى متجر او كور
حداد ، لا ترى فيه الا تعاطيا فى الدرهم والدينار او سحائب من النار والشرار .
والأرض كلها الى ساحة حرب واسعة وقد استهان أصحابها فى سبيل منافعهم
بالهود والذمم ؛ واستلحوا اشنع جريمة واكبر جناية ، اذا اقتضت ذلك ظروف
واحوال . فيقتل ألوف من البشر بأمرها ، وتسيطر دولة على دولة أخرى
ضعيفة بأسماء مختلفة وعلل واهية وتباع أمة لأمة أخرى بشئ بخس دراهم معدودة
كالضأن والغنم ، وتقل من يد كالرفيق والجمال ، وتقطع بلاد موحدة — يجمع
بينها الدين واللغة والحضارة والقومية — قطعاً كالثوب ، هذه الأثرة القومية
الأوربية التى أهاجت العرب ضد الأتراك — وكلهم مسلمون ، فلما أتموا دورهم
فى الحرب المكبرى وكتبوا سطور نصر الحلفاء بدمائهم أشاحوا عنهم وتناشوم
واقسموا ببلادهم كالمال السائب او تراث ميت ، حتى لحذا أرهاقهم الاحوال
واضطروا الى منح الاستقلال اقاموا فى سوريا الصغيرة اربع دويلات مستقلة ثم
زينوا لليهود الوطن القومى ، والهموم تأسيس دولة مستقلة وقدموا لهم كل
مساعدة ، حتى أصبح وطن اليهود امرا واقعا وقامت دولة لإسرائيل تصادمها
مصالحهم وامواهم وتضاربت الأثرة بالأثرة ، وما مسأله فلسطين اليوم ، وما تعقدها
والتواؤها الا نتيجة اثرة بريطانيا وأمريكا وروسيا القومية ونتيجة تنافسها فى
استغلال الشعوب ومنايع ثروتها والسيطرة على الشرق الادنى ؛ كذلك حدث
فى الهند . فد استغلتها بريطانيا وحلبت ضرعها قرنا ، فلما اخذت بالجد والجأثها
الاحوال الدولية الى ان تمنح الهند الاستقلال عاملت هذه البلاد التى عاشت عليها

دهراً شراً معاملة ، فأشعلتها ناراً على أهلها ولم تغادرها حتى جعلتها مذبحاً يقتل فيه بعضهم بعضاً ؛ ولم يكن ما صدر من أهل الهند سنة ١٩٤٧ عام الاستقلال إلا بالهام لاجني وتديره الخفي ونتيجة الاثرة والتربية الخلقية التي نشأ عليها أبناء هذه البلاد قرناً كاملاً في ظل الانجليز التي اخذتهم بها السياسة الانجليزية والفلسفة الاوربية والنزعة الجنسية التي جاء بها الاوربيون .

ثم تلك الاثرة الجاهلية قد بعثت في العالم كله وفي نواحي البلاد كلها طبيعة المطالبة بالحقوق والتهاون بالواجبات ، فقام كل واحد في المدينة يطلب ماله على غيره ولا يؤدي ما عليه لغيره ونشأ الناس ومردوا على التظريف ، اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالتوهم أو وزنوهم يخسرون ، فأحدثت هذه العقلية الغربية في جميع الارض نزاعاً بين الافراد وعراكاً بين الاحزاب وجدالاً بين الطبقات وصراعاً بين الجماهير والحكومات . وظهرت ثورة عنيفة في العمال والتجار والفلاحين والموظفين ضد الحكومات ، وعمت الاضرابات والتهديدات والاضطرابات في المدن . وكل ببالح في حقه ويحفي في المسألة ويتغافل عن واجبه ويخون في وظيفته ؛ حتى صارت الحياة سلسلة من مطالبات وهصرعات واصبحت الحياة حبلاً ممدوداً يتجاذبه الفريقان من طرفيه

مهما بالغنا في ذم هذه الاثرة والتذمر منها وتوجيه اللوم الى هذه المدينة وقادتها . فان سبب هذه الاثرة الجارفة والمدينة الشقية بأهلها واضح جلي ، فاذا كان الاعتقاد السائد ان لا حياة بعد هذه الحياه الفانية ولا نعيم بعد هذا النعيم الزائل والعهد الراحل ؛ واذا كان ادبنا وفلسفتنا وبيئتنا كلها لا نتحدثنا الا عن المادة وحدها وتخضع لاصحابها خضوع الذليل المستكين وتتغنى بمجدهم وتحت على اقتفاء اثرهم وتقليدهم في الحياة ؛ وتتكبر كل حقيقة دينية وخلقية ، واذا ماتت فكرة الحياة بعد المات واذا تركت القيم الخلقية والحقائق الفاضلة ميدانها للقيم المادية الجسدية ؛ واذا تضخم الجسم والبطن على حساب القلب والضمير حتى وسما الحياة كلها وحجبا الحقائق الخلقية والمعاني الروحية فكيف لا يصير الرجل في هذا المحيط مادياً محضاً وكيف يؤخر ربح حياته الحاضرة وثمراتها للغد الموهوم وكيف يستبقي ويدخر لذته وهناءه للآخرة التي لا يؤمن بها ؟ انه اذا لم يؤمن

بالعزيز الجبار العليم الخبير الديان المهيمن الرقيب الذي هو مالك يوم الدين .
والذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ؛ فكيف يتردد في استخدام الوسائل
التي تهىء له عيشا رغيدا وجاهاً عريضا ومالا ممدودا .

ولما حشرت الفلسفة السياسية المادية حياة الانسان في القومية والوطنية
واستخفت بكل من يعطف على بنى آدم عامة وبواسيهم وكل من يؤمن بالحياة
الآخرة الخالدة وكل من يحب الانسانية ولا يتقيد بوطن أو جنس ، أصبح
الانسان - اذا ارتفع عن الأثرة الشخصية والمنافع الفردية - لا يفكر الا في مصالح
وطنه ومنافع شعبه . قد تصل به هذه الوطنية والقومية الى الاحتلال والاستعمار
والقسوة والهمجية ، فيرى من واجبه الوطنى والفرعى المقدس ومن وفائه لأمته
وتقائه في سبيلها أن يؤسس دولة أمة على أقاض دولة أمة أخرى وعلى أشلائها
وهذه هي الوطنية التي حدث بأوروبا المتمدنة الى استعمال كل قسوة وحشية في توسيع
مملكاتها وإخضاع الأمم والشعوب لدولها وسياساتها حتى انتهت بها ذلك الى استعمال
المدمرات والغازات السامة والقاء القنابل الذرية في الاخير واختراع
(Hydrogen Bomb) وأشد منها أيضا .

هذه الأثر بمعناها الواسع هي آفة المدنية الحضرة وجائحة زرعا فما دامت
هذه الأثر إرواح الإجتماعية والسياسية وأساس المدنية والاخلاق بفلا تفيد التنظيمات
والإصلاحات والمشاريع الاقتصادية والعمرانية الجديدة ، ولا تنفي شيئا ، وإذا
كانت الأثرة متغلغة في أحشاء المجتمع جارية بحرى الروح هي التي تملى على الناس
سياساتهم وسلوكهم ، وإذا كان الأفراد في أمة يتنافسون في السموات ويتسابقون
على اللذات ويتناولون في القصور والناطحات للسحاب ويتسابقون في اقتناء اغر
السيارات ويتسابقون في أسباب الترف والرخاء ومظاهر العظمة والثراء ، وإذا
كانت قائمة الحاجات المختلفة والرغبات المصطنعة تضخم كل يوم ، لم يفد تلك الأمة
غناها ووسائلها وتنظيمها الإقتصادى ، ولم تكفها مواردها ومنابع ثروتها ، بها
كانت واسعة ضخمة ، ولا يفيدها أن تمطر السماء ذهبها وتلفظ الارض خزانها من
مناجم الذهب ومنابع البترول . فإن كل ذلك لا يفي حاجاتها المستتعة المتعددة ولا
فقرائها ولا يكسو عراثها ، ترى فيها على ثروتها الخائنة وأموالها الطائلة فوجا
من الفقراء لا يجدون من الطعام ما يقيم صلبهم ومن اللباس ما يكسو

هورتهم ، اهذا الجوع القاتل والمرى الفاضح الذى ترى مناظره المنجلاة على الشوارع العامة بالقصور المزدهجة بالسيارات لفقر البلاد وضيق مواردها وقلة وسائلها ؟ اذا فن اين هذه الباطحات للسحاب من القصور والمباريات للريح من السيارات ؟ ولماذا هذه الجولات إلى عواصم أوروبا وأمريكا ؟ لا والله ليس ذلك إلا لهذه الأثرة — قاتلها الله — التى حالت بين الفقراء وبين حظهم من العيش وحققهم من الحياة التى ابتلعت موارده البلاد وأموالها فلم تترك للفقراء وللبلاد شيئاً .

لقد أصبح المجتمع الانسانى اليوم جسماً متورماً يستسمنه الجاهل ، وما هو بسمين ، إنما هو ورم غير طبعى ، فقد بلغ شأواً بعيداً فى الزخارف والكماليات ووضاعة الميزا

وقلت الأمية وشاع العلم فى كثير من الأقطار ، وتساوى الناس فى المعيشة أسبابها فى بعض الأقطار أيضاً — كما يقولون — ولكن الواقع أن هذه الدوحة التى تراها قائمة — دوحة المدنية والمجتمع الانسانى — قد أصابها دودة أكلت كبدها ونخرتها ، فهى مشأكلة جوفة ، وهذه الدودة الخبيثة هى الأثر الذى تزين للانسان الظلم وتحمله على الاعتداء ، فاذا بقيت هذه الدودة تأكل كبده المجتمع وتخرجه حطت الجهود الإصلاحية ، وضاعت المشروعات الاقتصادية ، وما دامت هذه الدودة تفعل فعلها فلا تنفع الأمة الاشتراكية ، ود الشيوعية ، ولا تؤثر فى الحياة تأثيراً كبيراً ، لان أمة نشأت على الأثرة وحب المال المفرط وحب الحياة الزائد ، لا تمتنع من الظلم والاعتداء لاجل تنظيمات اقتصادية وعقوبات مدنية ، فان هنا ميدان غير ميدان الاقتصاد يستطيع المرء فيها أن يظلم أخاه ويغتصب حقه وإذ لم يستطيع ذلك فانه يقدر أن يؤذيه ويعاكسه على الأقل ، فلا طريق الى العدل والسلام والهناء الكامل الا أن تقتنع جرثومة الأثرة والشح والاعتداء من قلوب الناس وعقولهم ، وذلك لا يقدر عليه الا الدين المسيطر على الروح والقلب ، الدين الذى يحث على الاقتصاد فى المعيشة والزهد فى الدنيا ، ويمنع الانسان من الاسترسال فى الآمال والأمانى والانهماك فى اللذات والشهوات والاسراف فى الاكل

والشرب ، ويحضر على الاثارة على النفس مع الخصاصة واتفاق العفر من المال .
ويحضر على طعام المسكين ، والحذب على اليتيم ، وينمي على الذين يكتزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ، ويأكلون التراث أكلا لما ، ويجنون
المال حبا . جما ؛ ذلك هو الدين الكامل العادل الذي ينقذ الإنسانية من كل بلاء ،
ويقوم عوجها ، ويرتق فتقها ، ويأسو جراحها .

ان الشعوب أو البلاد التي استقلت في آسيا في الزمن الاخير ، لا تزال معرضة
عن حقيقة ناصعة ، وهي أن رفاهة البلاد وسعادة الشعب ليست من كثرة الوسائل
والآلات واكتشاف موارد المال ومنابع الثروة وازدهار الصناعة والزراعة
وكثرة المصانع وتقليد أوربا وأمريكا في تنظيماتها وان كان لابد من ذلك ، ولكن
الرفاهة الحقيقية في صحة المقاصد والغايات وحسن استعمال الوسائل والآلات وفي
اعتدال الحياة وقلة الحاجات وحب العدل والمواسات ، وأن يحصل هذا من
طريق الآلات والمكينات ومن طريق التنظيمات الاقتصادية والنظم السياسية ،
ولكن من طريق التربية الدينية وتأثير الدين الصحيح ، والتعليم الصحيح . ولئن
كانت الوسائل والآلات والتنظيمات ضامنة برفاهة البلاد وسعادة الأمة وهدوء
بالها لكانت أوربا وأمريكا وروسيا أرفه بلاد الله ، وأطيبها عيشا وأقلها كدرا
وأمنها بالا ، وأرضاها بالحياة ، وأبعدها من القلق والاضطراب ، والشكوى
والعتاب ، ولكانت جنة في الارض لا خوف فيها ولا حزن ، ولكن الامر
بالعكس ؛ فشاكل هذه البلاد وأزماتها وصراع الاحزاب والنزاعات بينها ، وتدمير
الناس من حياتهم وعدم رضاهم عن مدينتهم ، وبحبهم عن هدوء البال وسكينه القلب .
حتى في الشرق وأديانه أمر معلوم ،

• إنا لا نذكر الفضل للابدي التي تحاول إراحة البشرية المعذبة واسعافها بازالة
تلك الابرات عن جسمها ؛ ولكن لاسبيل إلى الطمأنينة الدائمة والسكينة التامة
إلا بقلع ابرات العيون ، ان الحصول على الحرية والاستقلال عمل جليل وهدف
سام جدا ، والجهاد في سبيل مكافحة الفقر والجوع والمرض والامية والجهل . وإلغاء
المظالم والاعتداءات الاقتصادية والاجتماعية ، والحصول على وسائل الحياة حسنة .

لا تنسى . وإيادى يضا ، لا تنمكر . ولكن الانسانية أوسع من هذا . وإن الانسان أكثر من المعدة والبطن والجسد والعقل . إن في جسده مضغة لو صلحت صلح الجسد كله ولو فسدت فسدت الجسد كله . ألا وهي القلب . فاللهم الإله هو صلاحه وهدؤه واعتداله وحياته . فهل فكر المفكرون في هذا ؟ وهل وجدوا إليه سبيلا ؟

قد تسابقت أيدي الانسانية الرفيعة لقلع أبرات الجسد . وقد عنيت بأبرات البطن والمعدة فاقتلعتها وأراحوا الانسانية منها . ولكنهم ما فعلت لأبرات العيون التي هي أصل البلاء وبذرة الشقاء . والانسانية تن أنين الشكلى وتهتف بأبنائها وانصارها وتنادى : إلى يا أبنائى البررة . اسعفوني وخلصوني من العذاب الذى أنجمعه ولا ألد أسيفه . ويأتيني الموت من كل مكان . وما أنا بميت . وأريخوني من وجع الفؤاد وألم العين الذى شرد نومي وأقلق بالى . وأمسحو ما بين من علة حتى أعيش قرير العين ناعم البال مطمئنا .

فهل من يجيب ١٩ .